بحث محكم

عبد المتعال الصعيديّ ومنهجه في الحوار والتجديد

علي بن مبارك

باحث تونسي

قسم العلوم الإنسانية والفلسفة

جميع الحقوق محفوظة © 2015

مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

All rights reserved © 2015

Mominoun Without Borders

مُلَخَّص:

اعتمدنا، في هذا العمل، على مدوّنة مخصوصة تتعلّق بمجموعة من المقالات الفكرية، نشرها عبد المتعال الصعيدي في مجلّة (رسالة الإسلام) في القاهرة بين سنتي (1951 و1958م)، ولم تلقَ هذه المقالات اهتمام المهتمين، على الرغم من عمقها وطرافتها، وتعكس هذه المقالات فلسفة عبد المتعال الصعيدي في فهم الثقافة الإسلامية، ودراسة قضايا الاختلاف، والتعدُّد، والحريّة الدينية، فقد عُرف هذا الشيخ الأزهري بمواقفه الشجاعة، وبآرائه المتحرّرة، وجلب ذلك له المتاعب والانتقادات اللاذعة.

ولقد اهتممنا، في هذا المقال، بترجمة عبد المتعال الصعيدي، والوقوف عند أهمّ محطّات حياته، إيماناً منّا بأنّ هذا الرجل ظُلم، وهُمِّش، وغُيّب، والحال أنّه ركنٌ من أركان الإصلاح الفكري في العصر الحديث، وتتجلّى أفكاره الإصلاحية في مواقفه الجريئة من التراث الديني، والمعارف السائدة، فقد كان يدعو إلى المراجعة والنقد البنّاء، وعلى هذا الأساس، ركّزنا، في بحثنا، هذا على آرائه في الحوار الديني عموماً، والحوار المذهبي بصفة أخصّ، فقد اهتمّ الصعيدي اهتماماً خاصّاً بالحوار الإسلامي- الإسلامي، من حيث مداخله الممكنة، ومواضيعه، وآلياته، وشروطه، وصعوباته، وانتقد ثقافة الإقصاء، والتفسيق، والتكفير، وبشّر بثقافة بديلة تقوم على الاختلاف، والتنوّع، والتفكير. ولعلّنا نحتاج، اليوم، في إطار صراعنا مع الغلو، والتطرُّف، والتشدّد الديني، إلى أفكار عبد المتعال الصعيدي، لعلّها تنير الدرب، وتزرع فينا بعض الأمل.

تعكس سيرة عبد المتعال الصعيديّ مفارقةً غريبة تحيّر الباحث، وتشدّ انتباهه، فبقدر ما كان الرّجل مهمّاً وفاعلاً في المجال العلمي الأزهريّ، لا نجد اهتماماً به يليق بذلك المقام. ولئن وجدنا كتباً ومقالات تتحدّث عن ثلّة من علماء الأزهر في النصف الأوّل من القرن العشرين، فإنّنا لا نجد ما يفي بالحاجة فيما يتعلّق بعبد المتعال الصعيديّ، ومنهجه التجديديّ. ونتج عن إهمال الصّعيدي -حسب عصمت نصار[1]- اختلاف المؤرّخين في تاريخ ولادته، وكذلك في تاريخ وفاته[2]، واستعنّا بـ(**أعلام**) الزركلي؛ إذ وجدنا بعض المعطيات، التي تساعد على ترجمة الرّجل، والتعرُّف إلى أهمّ محطّات حياته، فقد جاء في (**الأعلام**) أنّ عبد المتعال الصعيدي «عالم إصلاحيّ من شيوخ الأزهر في مصر»[3]. وُلِد الصعيديّ سنة (1313هـ/ 1894م) في «قرية كفر النجب من الدهلقية...، تخرّج في الجامع الأحمدي (1336هـ/1918م)، ودرّس فيه، ثمّ كان أستاذاً في كلية اللغة العربيّة في الأزهر (1368 هـ/1920م)»[4].

كان عبد المتعال الصعيديّ أستاذاً متميّزاً، وباحثاً مدقّقاً محقّقاً، جدّد في مناهج تدريس المنطق، وعلم الكلام، والفلسفة الإسلاميّة، وأسهم في خلق جيل من الطلبة الباحثين أخذوا عنه الحماسة، والصدق، والرغبة الملحّة في نفع المسلمين، وتطوير الفكر الإسلاميّ المعاصر، عاش عبد المتعال الصعيدي متحرّراً عزيز النفس، لا يتاجر في العلم والدّين، ولا يتملّق، كما يفعل العلماء المتكسّبون، ولم تكن ضريبة هذه الجرأة في العلم هيّنة، فقد لاقى من التهميش، والمحاربة، والتضييق، ما لاقى، وكم من مرّة عُزِل من عمله، وأُدخِل السجن، وهُدّد بالقتل، ولكنّه كان صامداً مؤمناً بأفكاره التحرّرية التنويرية.

انخرط عبد المتعال الصعيديّ، منذ شبابه المبكّر، في حركة الإصلاح الدّيني والفكري، فدعا إلى ضرورة التحرّر من تراكمات الماضي وانحرافاته، وشجّع على الاجتهاد والتفكير، وطالب بضرورة الانفتاح على الغرب، والمناهج الحديثة. وأثار الصعيديّ حفيظة المتحفّظين، وانتقاد المنتقدين، فاتّهموه بأخطر التهم وأشنعها، وحرّضوا عليه عامّة الناس، بعلّة الخروج عن الدّين، ومخالفة التقليد. وتحدّث الصعيدي، في مواضع عدة من كتبه ومحاوراته، عمّا أصابه من مضايقات، وما لحقه من أذى، بسبب أفكاره التحرريّة، ومشروعه

[1] عميد كلية الآداب، جامعة بني سويف، مصر.

[2] نصار، عصمت، حقيقة الأصولية الإسلامية فى فكر الشيخ عبد المتعال الصعيدى، دار الهداية، ط 2004، ص 18

وضرب نصّار مثالاً على ذلك؛ إذ حدّد محمد صابر عرب تاريخ ولادته بـ (1885م)، وتاريخ وفاته بـ (1971م)، ورجّح نصّار أن تكون ولادته سنة (1884م)، بينما توفي سنة (1966م).

[3] الزركليّ، خير الدّين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م، ج4، ص 148

[4] المرجع نفسه.

الإصلاحيّ المتّصل منهجاً وفكراً بمشروع أستاذه الأوّل محمّد عبده (ت 1323هـ/1905م). ويمكن أن نكتشف هاجس الإصلاح عند الصعيديّ الشاب، من خلال أبيات جميلة قالها حينما كان طالباً يافعاً، جاء فيها:

شَغلتُكَ يا زمانُ بكلِّ رأيٍ ... جديدٍ في أصالته مُثيرِ
يرى للجامد الرَّجعيِّ كُفْراً ... وإيماناً لدى الحُرِّ البصيرِ
زَهِدْتُ به مَناصِبَ ساميات ... وصُنْتُ النفسَ عن مَلَقٍ حقيرِ
ولم أنهضْ أُناصِرُ كلَّ عهد ... أُساوِمُها احتيالاً مِنْ كبيرِ

نكتشف هذا المنشود الإصلاحيّ، أيضاً، من خلال ردود الصّعيدي على ثلّة من علماء عصره في الصحف المصريّة، وكان، دائماً، يدافع عن الإصلاح وروّاده، فناصر مصطفى المراغي[5]، وتحمّس لأفكاره، ودافع عنها، وانتقد شيوخ الأزهر وطلابه؛ لأنّهم لم يقفوا إلى جانبه؛ بل خذلوه، وتركوه تائهاً في أحلامه الإصلاحية. حاول المراغي جاهداً، منذ تعيينه شيخاً للأزهر سنة (1928م)، ثمّ سنة (1935م) في دورة ثانية، إصلاحَ المؤسّسة، ومراجعة برامج التدريس، وتجديد الثقافة الإسلامية، والانفتاح على بقيّة المذاهب، والثقافات، والأديان، ولا نبالغ إذا قلنا إنّ الشيخ المراغي كان رائد الحوار الديني بامتياز.

تبنّى الصعيديّ، منذ شبابه، فكراً إصلاحياً تنويريّاً يقوم، أساساً، على الجرأة، والصراحة، والنزوع إلى المراجعة والتغيير، ويمكن أن نكتشف هذا المنزع الإصلاحي التغييريّ في مختلف كتبه، ومقالاته، ومحاوراته، وسنركّز على كتبه المنشورة دون المخطوطة[6]، فكلّ مؤلّفاته تحمل بذور الإصلاح والتجديد، وأهمّ هذه الكتب: **(نقد التعليم الحديث للأزهر)، و(العلم والعلماء ونظام التعليم)، و(تاريخ الإصلاح في الأزهر)، و(المجتهدون في الإسلام)، و(الوسيط في تاريخ الفلسفة الإسلاميّة)، و(في ميدان الاجتهاد)، و(تاريخ الجماعة الأولى للشبان المسلمين)، و(لماذا أنا مسلم)، و(الميراث في الشريعة الإسلاميّة والشرائع السماويّة)، و(شباب قريش في العهد السرّي لقريش)، و(القضايا الكبرى في الإسلام)، و(القرآن والحكم الاستعماري)، و(أبو العتاهية الشاعر)، و(الكميت بن زيد)، و(تجديد علم المنطق)، و(بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح)، و(النحو الجديد)، و(السياسة الإسلاميّة في عهد النبوّة)...**

[5] وُلِدَ محمّد مصطفى المراغي، سنة (1298هـ/ 1881م)، في بلدة (مراغة)، في محافظة سوهاج في صعيد مصر، وأتمّ حفظ القرآن الكريم في سنٍّ مبكّرة في كتّاب القرية، ثمّ التحق بالأزهر؛ إذ تحصّل على شهادة العالميّة سنة (1904م)، واشتغل في سلك القضاء، ثمّ تولّى رئاسة المحكمة الشرعية العليا عام (1923م)، وعُيّن شيخاً للأزهر سنة (1928م)، وعُرِف بإصلاحه لمؤسّسة الأزهر، وقدّم استقالته سنة (1929م)، ليُعاد تعيينه شيخاً للأزهر مرّة ثانية سنة (1935م)، وظلّ في منصبه مدّة عشر سنوات، حتى وافته المنية سنة (1364هـ/ 1945م). الزركلي، الأعلام، ج7، ص 103

[6] ترك الصعيدي كتباً عدّة مخطوطة مازالت تنتظر التحقيق والنشر.

وندرك، من خلال هذه المؤلّفات المتعدّدة، أنّ مشروع عبد المتعال الصّعيدي الإصلاحيّ يشتغل على عدّة واجهات، فهو مشروع متعدّد الوجوه، ومتنوّع المداخل، وقد يتجاوز الإصلاح الدينيّ الفكر الدينيّ ذاته، فيشتمل على المجتمع، والسياسة، والاقتصاد، والثقافة، والتعليم، والإعلام...

أدرك الصّعيدي أنّ الإصلاح الفكري لن يتحقّق في ظلّ منظومة تعليمية قديمة مريضة ومأزومة، وعلى هذا الأساس نقد نظام التعليم في جامعة الأزهر، وبحث في مشاريع الإصلاح السّابقة، وطرح أفكاراً إصلاحيّة مهمّة تتعلّق بالفكر الإسلاميّ، والمنطق، والنحو، والبلاغة... كان الرّجل مجدّداً بامتياز، يبحث عن الجديد المفيد دون كللٍ أو ملل، تحرّر من أسر العلوم الشرعية، وبحث في الفلسفة الإسلامية، والمنطق، وعلم الكلام، والعلوم السياسيّة. كان يعمل دائماً على كسر الحواجز بين المعارف، فالتجديد، عنده، أداة عمل لا تستثني مجالاً دون آخر، يتطلّب التجديد حريّة؛ لذلك تحدّث بعمق وحماسة في (الحرية الدينيّة في الإسلام)[7]، وجعل من هذا المبحث كتاباً صدر أوّل مرّة سنة (1955م) في القاهرة، كما بحث في المجدّدين في الإسلام من العصر الإسلاميّ الأوّل إلى العصر الحديث.

لا نبالغ إذا ذهبنا إلى القول إنّ تاريخ الرجال تاريخ أفكار بالأساس، وسيرة العظماء ليست سوى سيرة أفكار متطوّرة، ومتغيّرة، ومتجذّرة في واقعها، وليس من اليسير دراسة أفكار عبد المتعال الصعيدي بكلّ تفريعاتها وإبداعاتها، فالصّعيدي مفكّر صاحب طرح وموقف، ألّف في عدّة قضايا، وألّف كتباً ومقالات في عدّة مجالات معرفية دقيقة، كتب في اللّغة وقضاياها، والبلاغة ومسائلها الشائكة، كما أبحر في إشكاليات الفكر الإسلامي المعاصر، فحلّل، ونقد، واستشرف، وتحدّث عن التعليم، والإعلام، والثقافة، والإبداع.

وبناءً على ذلك، ليس من السّهل أن نتحدّث عن أفكار الرّجل وأطروحاته في هذا التقديم المخصوص، ولعلّ دراسة أفكاره تتطلّب منّا، أو من غيرنا، بحثاً مستقلّاً، وقصارى جهدنا، في هذا العمل، أن نرسم ملامح عبد المتعال الصعيدي المفكّر من خلال إسهاماته في مجلّة **(رسالة الإسلام)** الناطقة باسم جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، وكان الصعيدي أحد مؤسّسيها، وقلماً مدراراً من أقلامها. والجدير بالذّكر أنّ مقالات عبد المتعال الصعيديّ المنشورة في مجلّة **(رسالة الإسلام)**[8] تناولت عدّة قضايا، وأثارت عدّة أسئلة، تتعلّق تصريحاً وتضميناً بمشاغل الوحدة الإسلاميّة، ورهانات الحوار الإسلامي- الإسلامي.

[7] الصعيدي، عبد المتعال، الحرية الدينية في الإسلام، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2012م.

[8] المجلّة الناطقة باسم (جماعة التقريب) في القاهرة. ولقد ترأس هذه الجماعة محمد علي علوبة باشا (ت 1375هـ/ 1956م)، وقادتها مجموعة من العلماء من قبيل: عبد المجيد سليم (ت 1374هـ/ 1955م)، ومحمد مصطفى المراغي (1364هـ/1945م)، ومصطفى عبد الرازق (ت 1366هـ/1946م)، ومحمود شلتوت (ت 1383هـ/ 1963م)، ومحمد المدني (ت 1388 هـ/ 1968م)، وعلي الخفيف (ت 1398هـ / 1891 – 1978م)، وعبد العزيز عيسى (ت

أوّلاً: مداخل الحوار الدينيّ عند عبد المتعال الصعيديّ:

تحدّث عبد المتعال الصعيديّ عن الحوار الديني، من حيث تاريخه، وروّاده، وسبل تحقيقه، والأهداف المنشودة من ورائه، كما طرح الصعيديّ مشروعاً فكريّاً تقريبيّاً يقوم، أساساً، على التحرّر من ثقافة التقليد، وإحياء ثقافة الاجتهاد والتفكير، ومراجعة التراث الدينيّ، وآراء الرجال المهيمنة على العقل الإسلاميّ، وإعادة الاعتبار إلى القرآن، باعتباره نصّ التأسيس، بعد قرون من التهميش هيمنت فيها النصوص الحافة، والأدبيات الشارحة للنصّ. ورأى الصعيدي أنّ مبحث الاختلاف يُعدّ المدخل الأساس لتحقيق التواصل بين البشر بصفة عامّة، وبين المسلمين بصفة أخصّ، فالاختلاف سنّة الله في الخلق، ووجه من وجوه عدله –تعالى- في الخلق، ولا يمكن تحقيق التواصل البشري دون الاعتراف المطلق بالآخر المغاير في الدّين، أو المخالف في المذهب والفكر. وفي إطار حديثه عن الاختلاف، درس عبد المتعال الصعيديّ علاقة الذّات بالآخر، وتوصّل إلى استنتاج خطير مفاده أنّ معرفة الذّات لا تنفصل عن معرفة الآخر.

أسهم الصعيدي في بعث دار التقريب في القاهرة، مع ثلّة من الأزهريين والجامعيين. تبنّى الصعيدي فكرة التقريب منذ ظهورها، وتحمّس لها، ودافع عنها، وبشّر بها. كان يؤمن بأنّ وحدة المسلمين في تقاربهم، وتجاوز الصراع الموهوم الذي أرّق المسلمين وأضعفهم، فجعل منهم طُعماً سهل المنال، استغلّه الاستعمار، فاحتلّ بلاد المسلمين، وأذلّ أهلها، واستحوذ على ثرواتها، ولم يكن من اليسير، في ذلك الوقت، طرح فكرة تدعو إلى الوحدة والتقارب، فالتعصّب المذهبيّ قائم قاتل، ورجال السّياسة يراهنون على الفرقة والخلاف، ليستقرّ سلطانهم، والجهل يخيّم على عقول المسلمين. قتل المسلمون بعضهم بعضاً بتعلّة الاختلاف في الفهم، أو الانتماء المذهبيّ، أو الانتساب الطائفي والعرقي. سُفِكت الدّماء، وهُتِكَت الأعراض، وخُرِّبت البلدان، بسبب فهم مغلوط للدّين يزعم أنّ الفرقة النّاجية واحدة لا يشاركها أحد في الخلاص والنجاة، أتباعها في الجنّة خالدون، وبقية الفرق ضالّة، أصحابها في النار، وسوء العقاب.

أكّد عبد المتعال الصّعيدي أنّ نهضة الأمم تكمن في توطيد العلاقة بينهم على أساس المحبّة والمبرّة، فالدّين محبّة، ولا يمكن للمؤمن أن يكره، ويحقد، ويشمت في أخيه الإنسان، ويقتله، مهما كانت الأسباب؛ لذلك دعا الإسلام المؤمنين إلى المحبّة والمودّة حتى يشكّلوا جسماً واحداً، وإن تباينت أجزاؤه وتغايرت. وعلى هذا الأساس، عَدَّ الصعيدي فكرة التواصل البشري «دعوة الإسلام، التي تؤْثِر السّلم على الحرب، ولا تدعو إلى خصام المخالف في الدّين... وهي الدّعوة التي جعلت من المسلمين الأوّلين بررة أطهاراً، لا تحمل قلوبهم للنّاس

1415هـ/ 1994م). وتأسّست هذه الجماعة سنة (1366هـ/1947م). وأصدرت الدار مجلّة (رسالة الإسلام) في عددها الأوّل سنة (1949م)، وتوقّفت عن الصدور سنة (1972م)، العدد (60)، كما توقّفت دار التقريب عن النشاط سنة (1979).

غير الحبّ لهم، ولا تتطلّع نفوسهم إلا لهدايتهم»[9]، فهذه الدعوة من صلب الدّين، تُعبّر عن روحه الخالدة، فالأصل في الإسلام أن تعمّ المحبّة بين أبناء الملّة الواحدة، وتسود المبرّة بين الخلق، وإن تباينت أفكارهم وانتماءاتهم.

كانت قيم التواصل هاجساً لا ينقضي عند عبد المتعال الصعيدي، يعترضك صداها في كلّ مقالاته، تحدّث عنها بشجاعة دون كللٍ أو ملل، ونجد في كلامه صدى لأفكار جمال الدّين الأفغانيّ، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وغيرهم من روّاد النهضة الإسلامية، وندرك، من خلال هذه المرجعيات الفكريّة، أنّ السبيل إلى تحقيق التواصل يكمن، في مرحلة أولى، في تذليل الصعوبات، ودرء أسباب الخلاف، والشّقاق، والصدام؛ لذلك كان «من أغراض جماعة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة: السّعيّ في إزالة ما يكون من نزاع بين شعبين أو طائفتين من المسلمين، والتوفيق بينهما»[10]. ويتوجّب على حكماء الأمّة أن يصلحوا ما أفسده رجال السياسة، وآية ذلك أنّ «السياسة تبعة ما حصل بينهم من نزاع وتفريق»[11]. واقترح الصعيدي مجموعة من المداخل المفيدة في تحقيق التواصل بين الناس، سواء انتموا إلى الديانة ذاتها، أم اختلفت دياناتهم وثقافاتهم، ويمكن حصر هذا المداخل في النقاط الآتية:

- البحث عن نماذج تواصلية يمكن الاستئناس بها.
- طرح مواضيع ذات صلة بفكرة التقارب.
- الانطلاق من الإسلاميّ - الإسلامي للوصول إلى الحوار مع المغاير.
- عدم الفصل بين الأخوّة الإسلامية، والأخوّة الوطنيّة.
- تجاوز الخلاف الديني، والثقافي، والطائفي، والمذهبي، وبناء ثقافة الاختلاف.

1- البحث عن نماذج تواصلية يمكن الاستئناس بها:

بحث عبد المتعال الصعيدي عن شخصيات تاريخيّة خدمت الحوار، وعملت على تحقيق التواصل بين الجماعات الدينية، والمذهبية، والإثنية. واجتهدت في نشر ثقافة التسامح، والاعتدال، والاعتراف بالآخر. وفي

[9] الصعيدي، عبد المتعال، برّ المخالفين في الإسلام، ج1، رسالة الإسلام، العدد 21، جمادى الأولى/ كانون الثاني - يناير 1372هـ/1954م، ص 97
[10] الصعيدي، عبد المتعال، مدى الوحدة السياسيّة بين المسلمين، رسالة الإسلام، العدد 17، ربيع الأول/ كانون الثاني - يناير 1953/1372، ص 85
[11] المصدر نفسه، ص 85

هذا الإطار، تحدّث عن إسهامات علي بن أبي طالب، والخليفة العباسي المأمون، والألوسي، والجبرتي، ومحمّد العطّار، فوجد في علي بن أبي طالب «أعلى مثل في التسامح عند الخلاف في الرّأي، وفي إيثار المصلحة العامّة على المصلحة الخاصّة»[12].

لم يكن اختياره الخليفة الرّاشدي الرّابع مصادفة؛ بل قصده حقّ القصد؛ إذ يمثّل علي بن أبي طالب قيمة مشتركة بين المسلمين كلّهم، فهو محلّ اتفاق وتقدير بين المسلمين، والرّموز المشتركة مفيدة في وحدة المسلمين، وبناء صرح الوحدة الإسلاميّة. أمّا المأمون فاختار «أن يعقد للفرق الدّينية مجالس مناظرة، ليدور فيها البحث فيما بينهم من خلاف، ويعرف كلّ منهم ما عند الآخر من دعوى ودليل، ويزول الخلاف بينهم بالإقناع والاقتناع»[13]. وتكمن أهمّية تجربة المأمون، وغيرها من التجارب المماثلة في التاريخ الإسلاميّ، في محاولة مدّ جسر التواصل، والتعارف بين الجماعات الدينية، بعد أن باعدت بينهم الصّراعات السياسيّة والمذهبيّة، وأصبح المؤمنون يتواصلون مع بعضهم بعضاً وفق صور نمطيّة سلبيّة رسمها لهم المخيال الجمعيّ، فالتعارف بين الجماعات والأنساق الدينية المختلفة ييسّر التعاون بينها، ويقرّب القلوب والعقول.

ولم يقتصر الصعيدي على التاريخ البعيد، فبحث في نماذج مرجعية من العصر الحديث، فتحدّث عن الألوسيّ، وكيفية تعامله مع المستجدّات العلمية، التي ظهرت في أوروبا في عصره، لاسيما حينما أخبره «بعض المطّلعين أنّهم صنعوا سفينة تجري في الهواء»[14]، وتعامل مع الخبر بروح نقديّة منفتحة تعكس منزعاً تجديدياً لا يُستهان به، ونجد هذا التنوير والتحرّر عند عبد الرحمن الجبرتي أيضاً؛ إذ رصد لنا هذا الأخير التقدّم العلميّ في الغرب، وأعجب به أيّ إعجاب، واختار عبد المتعال الصعيديّ الحديث، أيضاً، عن حسن العطّار، الذي «شاهد من طلائع الحضارة الأوروبيّة ما شاهده المؤرّخ الجبرتي، فساعدته ثقافته على أن يقف منها موقفاً معتدلاً»[15]. ونفهم، من خلال هذا المدخل الوحدوي المخصوص، أنّ عبد المتعال الصعيديّ كان يدرك أهميّة الانفتاح على الآخر، فالحوار مع الذات لا يمكن فصله عن الحوار مع الآخر المغاير في العقيدة والثقافة، فالانغلاق على الذّات، بدعوى التمسّك بالهويّة، قد يحول دون التواصل مع المحيط، ودون فهم الواقع على حقيقته. وهكذا، نلاحظ أنّ الصعيدي اختار أعلاماً تشكّل مداخل ثقافية للتواصل الحضاري بين الجماعات، فأحسن اختيارها كما أحسن اختيار المواضيع المتّصلة بهاجس الوحدة.

---

[12] الصعيدي، عبد المتعال، علي بن أبي طالب والتقريب بين المذاهب، رسالة الإسلام، السنة 3، العدد4/ 12، ذو الحجّة/ تشرين الأول - أكتوبر 1370هـ/1951م، ص 83

[13] المصدر نفسه، ص 87

[14] الصعيدي، عبد المتعال، استقبال بعض علمائنا لطلائع الحضارة الأوروبية، رسالة الإسلام، العدد 19، ص 307

[15] المصدر نفسه.

2- طرح مواضيع ذات صلة بمشروعه التواصلي:

تكمن أهميّة التواصل البشري في اختيار المداخل النظريّة والمعرفيّة المناسبة له، فليست كلّ المعارف تستجيب لأهداف الحوار، ومنشوده التواصليّ؛ ولذلك حاول عبد المتعال الصعيدي أن يطرح المواضيع المنسجمة مع مشروعه الوحدوي، ويبدو الصعيديّ، من خلال هذا الشّاهد النصّي، دقيقاً في اختيار مواضيعه، عارفاً بأبعادها، وخلفياتها، وقيمتها التواصليّة الوحدوية، ويمكن حصر أهمّ المواضيع المتّصلة بهاجس الوحدة الإسلاميّة، التي تطرّقت لها مقالات عبد المتعال الصعيديّ المنشورة في مجلّة (رسالة الإسلام) في النقاط الآتيّة:

- **مجابهة الفتن والحفاظ على الوحدة**: لا نبالغ إذا اعتبرنا موضوع الوحدة الإسلاميّة موضوعاً محوريّاً في نصوص عبد المتعال الصعيديّ، فالمسلمون يعانون التفرقة والصراعات الداخليّة؛ ولذلك بحث الصعيدي، كما بحث غيره، عن كلّ ما «يؤدّي إلى قصم وحدة المسلمين... بعد أن جمّع الله بينهم بالإسلام، وجعلهم به أمّة واحدة، لا يفرّق بينها الاختلاف في الرّأي، ولا يفصم وحدتها تعدّد المذاهب، ما دامت متّفقة في أصول الإسلام، قائمة على قواعده وأركانه»[16]. نجحت قوى الاستعمار في تشتيت المسلمين، وإثارة الفتن بين الشعوب الإسلامية، بتعلّة التباين المذهبي والطائفي، وتباغض المسلمون، وتقاتلوا اعتماداً على منطلقات واهية، ومبرّرات سخيفة مضحكة تنمّ عن جهل بالدّين والحياة؛ لذلك أصبح لزاماً عليهم، اليوم، جمع كلمتهم، وتجاوز ذهنية الفتن الكامنة في عقولهم ونفوسهم.

- **التسامح السياسي بين المسلمين وتجاوز ثقافة النزاع**: لا يمكن تجاوز ثقافة النزاع والتنازع إلا من خلال نشر ثقافة التسامح في المجتمعات الإسلاميّة، فالأمران متداخلان يرتبط أحدهما بالآخر؛ ولذلك أكّد عبد المتعال الصعيدي أنّ من أهداف التقريب «السّعيّ في إزالة ما يكون من نزاع بين شعبين أو طائفتين من المسلمين، والتوفيق بينهما»[17]. وليس الأمر هيّناً، فالنزاع المذهبي والطائفيّ مرتبط بمخيال جمعي لا يُقهر، ورواسب مفزعة حافظت عليها الأجيال دون تدقيق أو تمحيص. ركّز الصعيدي على السّاسة والسياسيّين، ودورهم في زرع بذور الخلاف والنزاع بين المسلمين؛ ولذلك دعا إلى ضرورة البحث عن «الأساس الصحيح للتسامح السياسيّ بين المسلمين»[18]. ولكن ما المقصود بالتسامح السياسي؟ وكيف نميّز بينه وبين بقية ضروب التسامح؟ وإلى أيّ مدى يمكن تحقيق الوحدة بين المسلمين، والتقريب بينهم، من خلال تحقيق التسامح السياسيّ

[16] الصعيدي، عبد المتعال، أصلح المواقف في الفتن، رسالة الإسلام، العدد 27، ذو القعدة/ تموز - يوليو، 1374هـ /1955م، ص 8

[17] الصعيدي، عبد المتعال، مدى الوحدة السياسية بين المسلمين، رسالة الإسلام، رسالة الإسلام، السنة 5، العدد 1، 17 كانون الثاني/ يناير/ 1953م- ربيع الأول/ 1372 هـ، ص 73

[18] المصدر نفسه.

المنشود؟ كلّ هذه الأسئلة، وغيرها ممّا لم نذكر، حاول الصّعيدي إثارتها، والإجابة عنها، من خلال منهج موحّد يقوم على النّظر، والتحليل، والنقد، والاستشراف.

3- لا تواصل مع المغاير دون تواصل مع الذات:

أثار عبد المتعال الصعيديّ مفارقة غريبة تدعو إلى البحث، وتدفع إلى التدبّر والتمعّن، وتتمثّل هذه المفارقة في تحمّس نُخب كثيرة من المسلمين للحوار بين الأديان، وتردّدهم فيما يتعلّق بالحوار بين المسلمين ذاتهم، فالمسلمون يتسابقون، اليوم، من أجل تنظيم أفضل الندوات، والملتقيات، والمؤتمرات، في مجالات متعدّدة تتعلّق بالحوار بين الجماعات الدينية المختلفة، والثقافات والحضارات المتباينة، وينفقون، من أجل تحقيق ذلك، الأموال الطائلة، ويوظّفون ما يمتلكون من موارد بشرية وإعلامية...

ويبدو الأمر مغايراً، وربّما مضاداً إذا تعلّق الأمر بتنظيم تظاهرة علميّة وثقافية تتعلّق بالحوار الإسلامي - الإسلامي، وتقريب الجماعات الإسلاميّة بعضها من بعض، فتعلو أصوات المشكّكين، والمنتقدين، والمعارضين، والرافضين، بعضهم يقاطع ملتقيات التقريب والوحدة، بتعلّة أنّها تهدف إلى التشييع أو التسنين، وبعضهم الآخر يحارب كلّ من يشارك في هذا العمل التواصلي الوحدويّ، فيعاقب، ويسجن، وربّما يكفّر، ويقتّل.

أدرك عبد المتعال الصعيديّ أنّ الحوار مع الآخر لا يكون إلا من خلال الحوار مع الذّات، ومن غير المنطقيّ أن نتحاور مع المغاير عقديّاً وثقافيّاً، وجسور التواصل منقطعة، أو تكاد، بين أبناء الملّة الواحدة، فالحوار يتدرّج من القريب إلى البعيد، «فيكون المسلمون أحقّ بقيام علاقة المحبّة بينهم؛ لأنّه ليس بينهم من الخلاف ما بينهم وبين غيرهم»[19]. ويعكس هذا الكلام مفارقة مؤلمة أقلقت الصعيديّ، كما أقلقت غيره من المصلحين والمفكّرين، فبقدر ما نجد روابط مشتركة بين المسلمين تجمعهم على مستوى العقائد، والتصورات، والسلوك، والعبادات، والمعاملات، نجدهم يتباغضون، ويتحاقدون، ويتقاتلون، تدّعي كلّ جماعة أنّها الفرقة الناجية من دون بقية الفرق، فتفسّق غيرها، وتكفّر من لا يقول بآرائها، وتخرجه قصراً من دار الإسلام الرحبة. وفي المقابل، نجدها تمدح بقية الأديان والمعتقدات، فتجامل وتتقرّب، وعلى هذا الأساس، عمل عبد المتعال الصّعيديّ على إحياء مفهوم الأخوّة الإسلامية، باعتباره يتنافى مع مختلف مظاهر التباغض والتقاتل.

[19] الصعيدي، عبد المتعال، بر المخالفين في الإسلام، ص 87

4- إحياء الأخوّة الإسلامية من خلال ترسيخ الأخوّة الوطنيّة:

كيف يمكن لنا أن نفهم الأخوّة الدينيّة على ضوء ما نلحظه من علاقات متوتّرة بين المسلمين، فما نراه من حقد وبغض بين أبناء الملّة الواحدة يجعلنا نراجع مفهوم الأخوّة الدينيّة، الذي يتغنّى به المسلمون اليوم، ويعدّونه فضلاً يميّزهم عن بقية الديانات؛ إذ لا تباغض بين الإخوة، ولا كره بينهم، فما الذي أصاب المسلمين، فغيّر من سلوكهم، وشوّه مفاهيمهم، وأفسد أخلاقهم؟ حاول الصّعيدي أن يتناول هذه الإشكاليات، وغيرها من القضايا المهمّة، وانطلق في تحليله من دراسة التاريخ الإسلاميّ، واستنباط العبر منه، وأكّد أنّ ما وقع من حروب شرسة بين المسلمين لم يقتل الأخوّة الدينيّة؛ لأنّ ما حصل في التاريخ من تطارح وتقاتل لم يكن غير مرضٍ عرضيّ أسهمت عدّة عوامل في إيجاده وانتشاره بين أهل الإسلام. أمّا الأخوّة، فأصلٌ ثابت، وإن ألمّت به عوارض ونوازل، ما يعني «أنّ ذلك التقاتل بين الطائفتين لا يؤثّر في أخوّتهما لنا»[20]، والخصام «أبقى بيننا وبينهما هذه الأخوّة، كما أبقى لهما عقيدتهما، ولم يفرّق في هذا، أيضاً، بين محقٍّ ومبطل، فكلّ منهما تبقي أخوّته لنا، ولا يؤثّر فيها خصومتهما؛ بل قد يفيد ذلك بقاء هذه الأخوّة بين الطائفتين، كما تبقى بين أخوين في النسب يقاتل أحدهما الآخر»[21]. ويبدو أنّ الصعيدي اعتمد منهجاً مخصوصاً في قراءة التاريخ يعتمد، أساساً، عدم التهويل، والإقرار بأخطاء الماضي، ومحاولة الاستفادة منها في تحقيق التواصل بين المسلمين في العصر الحديث.

ولا يمكن -حسب عبد المتعال الصعيديّ- فصل الأخوّة الدينيّة عن الأخوّة الوطنيّة، فقد تتّفق جماعة من النّاس في الانتماء العقدي، والانتماء الوطني، في الآن ذاته، فالوطن الواحد قد يجمع بين أحضانه عدّة أديان، وأصناف متعدّدة من المتديّنين، «فجمع بينهم في هذا الوطن برابطة الوطنية»[22]، حتّى «يعيشوا فيه جنباً لجنب إخواناً في الوطن لا يفرّقهم ما بينهم من الاختلاف في الدّين والجنس؛ لأنّ الإسلام يرى أنّ الدّين لله يُحاسب عليه في الآخرة»[23]. أمّا الدنيا، فتجمل الجميع ليتعايشوا فيها، ويعمرون الأرض، وهذا التمييز بين ما هو دينيّ أخرويّ، ودنيويّ حياتيّ، أمر مفيد في تيسير التواصل والحوار بين الجماعات الدينية والمذهبية، فالدّين، بما هو حقائق ربّانية، لا يعرفه، على وجهه الصحيح، إلا صاحب التنزيل، فالخلق يتأوّلون ويختلفون [ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ][24]، فلا حرج في اختلاف المؤمنين وتباينهم، ولا يُفسد ذلك الودّ بينهم، ولا

[20] الصعيدي، عبد المتعال، مدى الوحدة السياسية بين المسلمين، ص 75

[21] المصدر نفسه.

[22] المصدر نفسه، ص 76

[23] المصدر نفسه.

[24] الأنعام: 164

ينقص من قيمة الأخوّة، وعلى هذا الأساس، عمل الإسلام على تجاوز الخلاف بكلّ أنواعه، وبناء ثقافة الاختلاف والتعدّد.

5- تجاوز الخلاف العقدي وبناء ثقافة الاختلاف:

رسم عبد المتعال الصعيدي خطّة محكمة البنيان تيسّر تجاوز الخلاف العقدي وتشيّد ثقافة الاختلاف، فعمل على فضح خلفيات تشتيت المسلمين وتفريقهم، وركّز أساساً على الخلفيات السياسيّة، كما اجتهد في إزالة أسباب النزاع وترسيخ قيم التسامح والوحدة.

كان عبد المتعال الصعيدي صاحب رسالة توحيديّة تقريبيّة «لا تسعى إلا إلى جمع كلمة المسلمين التي فرّقها الخلاف السياسيّ لا الدّيني؛ لأنّ الخلاف السياسيّ هو الذي فرّق كلمتهم، وجعل بعضهم يعادي بعضاً على أسبابه وغاياته من أمور الدّنيا، كالوصول إلى الحكم ومناصبه، والظفر بالرّياسة ومظاهرها، وما إلى هذا من وسائل الجاه، الذي يطغى على الدّين، فيستخدم أهله في أغراضه، ويفرّق كلمتهم في الوصول إلى مآربه؛ لأنّه لا يصل إليها إلا بتفرّق الكلمة، وانقسام المسلمين إلى طوائف متعادية»[25]. فساسة المسلمين أبدعوا في ظلم شعوبهم وقهرها، ومارسوا سياسة التفريق ليسهل عليهم قيادتها، والتحكُّم فيها، وتوجيهها الوجهة التي يريدونها؛ ولذلك أثاروا النعرات الطائفية، والإثنية، والمذهبية، وقرّبوا جماعة دون أخرى حتى يشتدّ التحاقد بينها؛ ولذلك كان الصعيدي حذراً من السياسة والساسة، ويرى أنّ وحدة المسلمين لا تكون إلا من خلال التمرّد على مغالطات السياسيين ومخطّطاتهم، وممّا زاد الطين بلّة أنّ بعض الفقهاء، وعلماء الدين، تحوّلوا إلى أبواق دعاية تخدم رجال السياسة، وتبرّر ما يقومون به من جرائم تضرّ بوحدة المسلمين، وأمنهم، وكرامتهم. وعلى هذا الأساس، أكّد الصعيدي أهمية القضاء على أسباب النزاع، وتحريم التقتيل بين المسلمين.

أكّد الإسلام حرمة القتل مطلقاً، فكرامة الإنسان تتنافى مع قتله وإراقة دمه بغير وجه حقّ؛ ولذلك دعا القرآن إلى حفظ النّفس البشرية، واعتبرها أصل الأصول، ومقصد المقاصد، وجرّم التقاتل بين النّاس، واعتبر قتل المسلم أخاه المسلم جرماً عظيماً، وعملاً شنيعاً لا يُغفر لصاحبه، وما من مسلمين اقتتلا إلا والقاتل والمقتول في النار[26]، وعلى هذا الأساس، لا وحدة، ولا تقريب، في إطار ثقافة القتل والتقتيل؛ ولذلك حاول الصعيدي تأكيد حرمة قتل المسلمين مهما كانت الاعتبارات، ولنا في سيرة النبيّ وصحابته خير مثال على ذلك، ولنا في قصّة أسامة بن زيد خير مثال على ذلك؛ إذ وجّه له الرّسول نقداً لاذعاً؛ لأنّه «قتل رجلاً شهر عليه سيفه فقال لا

[25] الصعيديّ، عبد المتعال، سعي قديم في توحيد المذاهب، رسالة الإسلام، العدد 25، جمادى الآخرة/ كانون الثاني - يناير، 1374هـ/1955م، ص 38

[26] النصّ تضمين لحديث نبويّ متّفق على صحته، نصّه: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**، فقلت يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول، قال: **إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**».

إله إلاّ الله» ـ بحجّة أنّه «قالها تعويذاً من السيف»، فأجابه في صيغة استفهام إنكاري: «**هل شققت عن قلبه؟**»، وردّد عدّة مرّات «**من لك يا أسامة بلا إله إلاّ الله**» إلى درجة أعلن فيها أسامة «**وددت أنّ ما مضى من إسلامي لم يكن**»[27]. إنّه إعلان عن قانون خالد يستأثر فيه البشر بالظواهر دون البواطن، ويشرّع للاختلاف حتّى لا يتحوّل إلى خلاف، ثمّ إلى عنفٍ، وتكفيرٍ، وإقصاء. فكيف تحوّل هذا الاختلاف، بما هو انفتاح، إلى خلاف مدمّر أضرّ بالدين والدنيا، وأرعب البلاد والعباد؟

ثانيا: المنشود التواصليّ في فكر عبد المتعال الصّعيديّ:

جعل عبد المتعال الصعيديّ من مسألتي التواصل والتقارب مسألة أساسيّة، وهدفاً محوريّاً، وفي هذا الإطار، اجتهد الصعيديّ في عرض أهداف مشروع التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، وندرك، من خلال أدبيات الصعيدي، أنّ التواصل كان هدفاً وغايةً في الآن ذاته، فهو وسيلة لتوحيد الصفوف، ومدّ جسور التواصل والتعاون بين البشر، كما أنّه وسيلة لتحقيق الوحدة والتقدّم. ونفهم من هذا التحليل أنّ التواصل كان بمثابة الحلم الذي راود الصعيدي، فكانت منشوده، والرّوح السارية في كيانه. تباعد المسلمون أجيالاً وأجيالاً، فتباغضوا، وتحاقدوا، وتقاتلوا قتال الأعداء، ورسم كلّ فريق صورة نمطية سلبية لغيره من المسلمين، وتوارثت الأجيال هذه الصور النمطية السلبية، وزعمت أنّها حقائق، فتعصّبت لها، وروّجتها، وعلّمتها في المدارس والجامعات، فتقبّلها الطلبة، باعتبارها تاريخاً، وجزءاً من الذّات والهوية، ولم تكن تلك الحقائق غير صورة واهية، وخرافة سخيفة، وخيال خصب، أثارته الذاكرة، ودعّمه رجال السياسة وحاشيتهم.

أكّد عبد المتعال الصعيديّ أهميّة تحقيق التواصل بين الجماعات الإسلامية، واشتمل التواصل عنده على مختلف مجالات الحياة، فالمسلمون يعيشون أزمة تواصل من قرون خلت، ومسّت هذه الأزمة الثقافة، والفكر، والاقتصاد، والسياسة، والتعليم، والمجتمع، والمؤسّسات الدينية، وما ارتبط بها من أفكار وتصوّرات.

ونفهم ممّا سبق أنّ مشكلة العالم الإسلامي، قديماً وحديثاً، تكمن في انقطاع التواصل بين أبناء الملّة الواحدة، واعتقد الصعيدي أنّ المرحلة الأولى من مشروع «التواصل الإسلاميّ-الإسلاميّ» تكمن في «**العمل على جمع كلمة أرباب المذاهب الإسلاميّة (الطوائف الإسلاميّة) الذين باعدت بينهم آراء لا تمسُّ العقائد التي يجب الإيمان بها**»[28]. ويقصد بأرباب المذاهب: علماء الدّين، والفقهاء، وزعماء الطوائف. ويقوم هذا التصوّر

[27] ابن الأثير، عزّ الدين الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، (د ت)، ج 1، ص 80

[28] الصعيديّ، عبد المتعال، سعي قديم في توحيد المذاهب، ص 37

على فرضية مفادها أنّ تقريب الزعامات يؤدّي، بالضرورة، إلى تقريب المؤمنين، فالنّاس على دين علمائهم ومراجعهم، وإصلاح حال العلماء يعمّ، بالضرورة، عامّة الناس.

ولئن تجاوز مطلب التواصل في بعده الإسلامي- الإسلامي نخب القيادة والزعامة، فإنّ علماء الدين مازالوا يؤدّون الدور الأساسيّ في تقريب المسلمين أو تنافرهم، وكم من قتال شبّ بين المسلمين بسبب خطبة عدائيّة تفوّه بها هذا العالم أو ذاك من هذا المذهب أو غيره، ولو نتابع كلام علماء الدّين من على المنابر، وفي الفضائيات، لوجدنا أغلبهم يحرّضون على أبناء دينهم، فيفسّقون، ويبدّعون، ويكفّرون، بطريقة ضمنية أو صريحة. وندرك، من خلال ما سبق، أنّ التواصل لن يتحقّق في إطار ثقافة تقوم على التعصّب المذهبيّ والإقصاء.

1- نقد ثقافة التعصّب الدينيّ وإبطال مقالة الفرقة الناجية:

اهتمّ الصعيديّ بدراسة التعصّب والغلوّ، فنظر في أسبابه، وتداعياته، وخلفياته، وفي المقابل، كان يدعو إلى الاعتدال، وإعمال العقل. وممّا زاد الطّين بلّة أنّ التعصّب للدّين استُبدل من قبل المسلمين بالتعصّب للمذهب، وأصبح علماء الدّين دعاة لمذاهبهم وطوائفهم، يبشّرون بآراء المذهب، ويرغّبون النّاس في رجاله، ويدافعون عنه حدّ الموت، ويعدّون الموت من أجل المذهب شهادة وتطهّر، أُغلِق باب الاجتهاد، وانحصر الفكر الديني في المذاهب السائدة، وما لحق بها من شروح، وتعاليق، وهوامش، وشروح الشروح، وتعاليق التعاليق، وهوامش الهوامش، ودخلت الثقافة الإسلامية، بعد القرن السّابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، زمن هجوم المغول على البلاد الإسلامية، واحتلال عاصمة الخلافة بغداد (سنة 656هـ/ 1258م)، مرحلة مديدة مازالت متواصلة إلى اليوم، سمتها الاتباع والتقليد، وما التقليد إلا الأخذ عن رجالات المذهب وعلمائه دون اعتماد حجج من القرآن أو السنّة، ودون النظر في الإجماع والاستئناس بالتدبّر والتفكّر. وتوارثت الأجيال هذا التقليد، وما ارتبط به من تمثّلات وتصوّرات. اعتقد أغلب الناس أنّ ما وصلنا من أقوال الرّجال هو الدّين ذاته، فكان دفاعهم عن المذهب دفاعاً عن الدّين؛ إذ احتوى الجزء الكلّ، واختلطت المفاهيم والمرجعيات، حتّى اضطرّ بعض العلماء، في العصر الحديث، إلى أن ينتقدوا المذاهب، ويبشّروا بإسلام دون مذاهب.

إنّ الإقرار بنسبية الطرح المذهبي، وتاريخيّة مقالاته، يجعلنا ننظر إلى التعصّب المذهبي نظرة استغراب واستهجان؛ فالإسلام أرحب من هذا التخصيص الضيّق، وأشمل من هذا التضييق القاتل، وأعظم من هذه النفوس المأزومة، فلا مانع من أن تتّخذ لك مذهباً فقهياً، ولكنّ الخطر كلّ الخطر أن تحوّل ذلك المذهب إلى عقيدة يتعصّب لها المؤمنون تعصّبهم للدّين المنزّل، وأن تجعل من فروع المذهب، وفروع فروعه، أصولاً ثابتة

لا تقبل التشكيك أو التدقيق. ولا نبالغ إذا قلنا إنّ الغلوّ في التعصّب للمذاهب فتح باب التكفير على مصراعيه، وقتل في ثقافة المسلمين كلّ بوادر الإبداع والتفكير.

2- تجاوز ثقافة التكفير والتشجيع على الإبداع والتفكير:

لا نبالغ إذا اعتبرنا مسألة التكفير من أعقد المسائل المطروحة في الثقافة الإسلاميّة، قديماً وحديثاً، فقد شغلت ثنائيّة الكفر والإيمان فقهاء المسلمين، والمتكلّمين، والمجادلين، والمفسّرين، والمحدّثين، فبحثوا في مفهوم الإيمان، وعلاقته بالإسلام والإحسان، وتبحّروا في مفهوم الكفر، فصنّفوه أصنافاً، وبوّبوه أبواباً، وأبدع بعض علماء المسلمين في تفصيل الكفر والكافرين، ووضعوا علامات وقرائن تخصّ كلّ صنف، ولم يكتف المتكلّمون بتكفير المغايرين في الدّين من أهل الديانات المختلفة؛ بل تبحّروا في تكفير المخالفين من أهل الإسلام، فكفّروا أهل القبلة، واعتبروا من خالفهم في المذهب، أو الرّأي، أو الخلفيّة، فاسقاً، أو مبتدعاً، أو كافراً، أو صاحب منزلة بين المنزلتين في أحسن الأحوال. وبناءً على ذلك، تغيّر فهم المسلمين لعلم الكلام؛ إذ تحوّل من علم يدافع من خلاله عن عقائد المسلمين إلى علم يدافع أساساً عن المذهب ومقالاته[29]، ويتبيّن لنا، من خلال قراءة نصوص الصعيديّ التقريبيّة، مدى استهجانه لظاهرة تكفير أهل الإسلام؛ «**لأنّ تكفير بعض المختلفين في الأصول لبعض، أو تضليل بعضهم لبعض، ليس في شيء من الصّواب**»[30]. ويبدو أنّ الصّعيدي لا يرى حرجاً في اختلاف المسلمين في الأصول في بُعديها العقديّ والفقهيّ، فلا حرج أن يختلف المسلمون في تمثّلاتهم العقديّة، وتصوّراتهم المتعلّقة بالألوهية، والنبوّة، والإمامة، والمعاد. فالتمثّلات العقديّة لا تعني، بالضرورة، العقيدة، فالإيمان حالة من الوجد تجمع بين الخوف والحبّ يعيشها المؤمن، ويعبّر عنها في خواطره، وأشعاره، وكتبه. ولذلك اختلف الخلق في تمثّلاتهم العقديّة، وما ذلك بعيب، وعلى هذا الأساس، اختلف المسلمين في تصوّراتهم الإيمانية، وتباينت آراؤهم، لكنّ بعضهم لم يقبل هذا الاختلاف، وحوّله إلى صراع وقتال بتعلّة أنّ صورة العقيدة واحدة لا تتجزأ، وتحتكرها جماعة مذهبية أو كلاميّة دون أخرى.

ويبدو أن الصعيدي لم يحصر اهتمامه بالأصول العقدية؛ بل اهتمّ، أيضاً، بالأصول الفقهية، فأصول الفقه، بدورها، محلّ اختلاف بين الجماعات الإسلاميّة، وبناءً على ذلك، تعدّت نظريّات الاستنباط والمقاربات المتعلّقة بالاجتهاد. ومن السذاجة البحث عن أصوب الاجتهادات، وأسلم الاستنباطات، فالحقيقة الربّانيّة سرّ إلهي

---

[29] هذا ما نفهمه من تعريف ابن خلون لعلم الكلام على سبيل المثال؛ إذ جاء في تعريفه: «**هو علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإسلامية الإيمانية بالأدلّة العقلية، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة**». ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدّمة، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص 507

[30] الصعيدي، عبد المتعال، التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ودراسة علم التوحيد، ج 2، رسالة الإسلام، العدد10، جمادى الآخرة/ نيسان - أبريل، 1370هـ/1951م، ص 179

لا يعلمه إلا صاحب الكون والتنزيل، وما الاجتهادات إلا عمل بشريّ تاريخيّ نسبيّ لا تقديس له ولا تعظيم. وفي هذا المستوى، يتراءى لنا موقف عبد المتعال الصعيدي من الاختلاف العقدي والأصولي الفقهيّ، ويتّجه هذا الموقف نحو القبول بالاختلاف، ونبذ التعصب للرأي، والحذر من تحويل الفروع إلى أصول، والتعامل مع آراء البشر التاريخيّة باعتبارها حقائق مطلقة قطعية الدلالة والثبوت.

ثالثا: سبل تحقيق التواصل بين الناس:

اهتمّ عبد المتعال الصّعيديّ بآليات تحقيق التواصل، واعتمد، من أجل تحقيق ذلك، عدّة مداخل تتعلّق بالاهتمام بالتقريب الثقافي، أو التقريب من خلال الثقافة، واعتمد تحديث المجتمع، واعتماد النظم المدنيّة.

أدرك عبد المتعال الصعيدي، منذ مقالاته الأولى، أنّ الثقافة عنصر مهمّ في التواصل بين الجماعات، فالسّياسة نادراً ما تجمع بين أبناء الملّة الواحدة، فما بالك بأبناء الملل المختلفة؛ إذ يتعمّد السياسيّون التفريق بين المؤمنين حتّى يتسنّى لهم التحكّم فيهم وتسييرهم، كما أنّ الفكر الدّينيّ تمّ تشويهه وتحريفه على عدّة واجهات، اختلط بالخرافات والترّهات، وتساوت فيه الأصول مع الفروع، وأصبح دفاعه عن المذهب، أحياناً، أكثر من دفاعه عن الدّين، وأصبحت فيه أقوال الرّجال أكثر أهميّة من النصّ. وعلى هذا الأساس، ركزّ الصعيدي على التواصل الثقافيّ، باعتباره يجمع ولا يفرّق، ويصلح ولا يفسد؛ لذلك تحدّث الصعيديّ عن عدّة مداخل تقريبيّة ثقافيّة تتعلّق بالأدب، واللّغة، والقانون. ولعلّ أهمّ هذه المداخل ما تعلّق منها بالترجمة من اللغات الإسلامية وإليها، فجماعة التقريب تهدف إلى «نشر المبادئ الإسلاميّة باللّغات المختلفة»[31]. وتؤدي الترجمة دوراً أساسيّاً في تحقيق التواصل الثقافي بن الشعوب عامّة، والجماعات الإسلامية بصفة أخصّ، ولئن اهتمّ المسلمون، منذ قرن أو يزيد، بالترجمة من اللّغات الأوروبية وإليها، فإنّ اهتمامهم بترجمة الكتب من اللّغات المعتمدة في العالم الإسلامي وإليها مازالت ضعيفة، فلا نجد ترجمات تُذكر عن اللغات الفارسية، والأردية، والهنديّة، وغيرها من اللّغات الإسلامية المعاصرة، على كثرة إنتاجها الفكري.

كان عبد المتعال الصعيديّ عالم دين مستنيراً، يدعو، دون حرج، إلى الإصلاح، وتحديث المجتمع، وبناء دولة مدنيّة تقوم على العدل والحرية، وتصون الكرامة الإنسانيّة، ولم تمنعه عباءته الأزهرية من الدفاع عن مفاهيم حداثية مدنيّة تؤسّس لدولة عصريّة، فتحدّث عن نظام سياسيّ واجتماعيّ «لا يكون فيه شيء من وسائل التشهير، ولا شيء من سوء القصد». فالإسلام بشّر بقيم العدل والحرية، وشجّع على سيادة ثقافة السّلم والعيش المشترك؛ لذلك تحدّث الإسلام عن قيم المدينة والمدنيّة، وكان عدد كبير من روّاد الإصلاح الدينيّ

[31] الصعيدي، عبد المتعال، سعي قديم في توحيد المذاهب، 103

متحمّسين للدولة المدنية، ومجتمع الحداثة. ولا نبالغ إذا قلنا إنّ علماء دار التقريب في القاهرة كانوا أكثر علماء المسلمين حماسة لتحديث المجتمع، واعتماد النظم المدنيّة. وفي هذا السّياق، يندرج فكر عبد المتعال الصعيديّ؛ إذ دافع، في مواضع مختلفة من مقالاته، عن أسس الدولة المدنيّة الحديثة، وعدّها مدخلاً أساسيّاً من مداخل التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، فتحدّث عن علاقة اليهود بالمسلمين زمن الإسلام الأوّل، فما أظهره الرّسول من حلم، وتسامح، وحكمة، «يجعلهم يعرفون أنّ المسلمين يريدون، حقيقةً، أن يعيشوا معهم إخوة في هذا الوطن، لهم فيه ما لهم، وعليهم ما عليهم، ولا خطر في هذا عليهم إذا آثروا هذه الأخوّة الوطنيّة على ما جبلوا عليه من أثرتهم وحبّهم لأنفسهم، ليعيشوا جميعاً إخوة متساوين في هذا الوطن»[32].

وندرك، من خلال هذا الشّاهد النصيّ، أهمية (المواطنة) في فكر الصعيديّ، وعند التقريبيّين عموماً، فالمواطنة تهدم الحدود بين الطوائف، والأديان، والمذاهب، فكلّ النّاس سواسية في الوطن الواحد، يتمتّعون بالحقوق نفسها، ويضطلعون بالواجبات نفسها، ولا فرق بين مواطن وآخر إلا بالعمل الصالح، ومنفعة النّاس.

يشتكي المسلمون، اليوم، من غياب المواطنة أو تهميشها؛ إذ مازال بعضهم يتحدّث عن أفضلية دين على دين، أو مذهب على آخر، في وطن واحد، وتنتج عن ذلك ضروب من التمييز الدينيّ، والمذهبيّ، والطائفيّ تخلّ بالسلم الأهلي، وقيم التعايش المشترك. تعني المواطنة فيما تعني أن لا أحد أفضل من الآخر، من حيث عقيدته، وجنسه، وانتماؤه المذهبيّ والفكريّ، وعلى هذا الأساس، لا يمكن الحديث عن مواطنة في ظلّ ثقافة تقوم على الطائفية، والمذهبية، والعصبية الدينيّة، وتُشرّع للإقصاء والتعصّب.

وفي إطار هذا المبحث، يثير الصعيديّ مسألة في بالغ الأهميّة تتعلّق بانسجام دوائر الانتماء داخل الفضاء الثقافيّ الواحد؛ إذ لا تناقض عنده بين الوطنية، والقومية، والانتماء الإسلاميّ، ولا أحد من هذه الانتماءات يقصي البقية، «والمسلمون، في عصرنا، إذا اعتزّوا بقوميتهم وأوطانهم الخاصّة من أجل ذلك الغرض الشريف، وإذا تغنّوا بمجد قدمائهم فيها من أجل ذلك الغرض أيضاً، فإنّهم لا ينسون وطنهم الإسلاميّ العام، ولا جامعتهم الإسلاميّة الكبرى؛ بل يجمعون بين الوطنيتين، ويعتزّون بماضيهم الإسلاميّ، كما يعتزون بماضيهم القوميّ؛ لأنّه لا منافاة بين الوطنيتين، ولا بين الإسلام والقومية»[33].

وندرك، من خلال هذا الشّاهد النصيّ، أنّ الجامعة الإسلامية، التي بشّر بها المصلحون في المغرب والمشرق، لا تتناقض مع الجامعة الوطنية، ولا تعارض الجامعة القوميّة، ويقوم هذا التمييز بين الجامعات على

[32] الصعيدي، عبد المتعال، رأي في القتال، ج 1، رسالة الإسلام، العدد34، رمضان/ نيسان - أبريل، 1376هـ/ 1957م، ص 170

[33] الصعيدي، عبد المتعال، الوطنية والقومية في الإسلام، رسالة الإسلام، العدد 37، رجب/ كانون الثاني - يناير، 1377هـ/ 1958م، ص 86

احترام الآخرين وخصوصيّاتهم، فانتمائي إلى الإسلام لا يمنعني من احترام بني قومي، وأبناء وطني، مهما كان لونهم الديني، أو المذهبيّ، أو الفكريّ، وهذا أساس التواصل بين الجماعات والثقافات في الإسلام.

تراهن المدنيّة الحديثة على التواصل بين الأفراد والجماعات؛ إذ بقدر ما توفّق البشرية في مدّ جسور التواصل فيما بينها، يقلّ العنف، وتتراجع ثقافة النفي والإقصاء. ولذلك لا بدّ من أن نتجاوز المغالطات التي يروّجها بعض علماء الدّين، أو من تشبّه بهم؛ إذ أشاعوا بين النّاس أنّ الوطنية ليست من الدّين، وأنّ القومية تناقض الإسلام، فأثاروا بذلك فتناً ما أنزل الله بها من سلطان؛ ولذلك «يجب أن نعرّف الوطنية والقومية على حقيقتهما، وأن نعرّف الدّين على حقيقته؛ لأنّ كثيراً من النّاس يخلط بينهما، ويرى أنّه لا وطنية ولا قومية إلا بالدّين، فلا يُشارك أهل دين غيرهم في الوطنية والقومية، وهذا فهم خاطئ كلّ الخطأ، فالدّين لله - تعالى - وحده، حسابهم عليه مختلف عنده، ولكنّ الوطنية والقومية لجميع النّاس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، لكلّ منهم حقّه فيه، ولكلّ منهم حقّ الدّفاع عنها باللّسان والسّيف، وحقّ الاعتزاز بماضيه ومجد آبائه فيه، على وجه ينفع ولا يضرّ، ويجمع ولا يفرّق»[34]. يهدف الدّين -فيما يهدف- إلى تمتين نسيج العلاقات العائلية، والوطنية، والقومية، والكونية؛ ولذلك دعا إلى التسامح، والتعارف، والتراحم، وهذا يعني: أنّ كلّ سلوك دينيّ، أو يُنجَز باسم الدين، يبشّر بثقافة التكفير، والإقصاء، والتمييز المذهبيّ، والقتل، لا علاقة له بالإسلام الأصيل، ولا يستجيب إلى روح الوحي الإسلاميّ.

لا يمكن للمسلمين، اليوم، أن يعيشوا معزولين عن خيارات المدنيّة الحديثة، وهي خيارات نجد صداها في التراث الإسلامي، ومقاصد الشريعة؛ ولذلك استشهد الصعيدي، أكثر من مرّة، بسيرة الرسول، وتاريخ الإسلام الأوّل، وركّز على تجربة دولة المدينة، حيث ساد «دين المحبّة والصّفح بين النّاس»[35]. كان الإسلام واقعيّاً في طرحه؛ لذلك نجده «لا ينظر في سياسته إلى الرّابطة الإسلاميّة وحدها؛ بل ينظر فيها إلى غير الرّابطة الإسلاميّة من رابطة وطنية ونحوها؛ لأنّه يمتاز على غيره من الأديان بأنه لا إكراه فيه على الدّين؛ إذ يجتمع في وطنه النّاس على اختلاف أديانهم وأجناسهم، فيكون وطنه وطناً لهم جميعاً»[36]. ويدفعنا هذا الكلام إلى إعادة النّظر في مكوّنات الهويّة، فأغلب الجماعات الدينية، منذ زمن الصعيديّ إلى اليوم، تكاد تحصر الهويّة في الدّين، وترى أنّ الإسلام في غنى عن بقية الانتماءات الأخرى، ويترفّع عن مفاهيم المدنيّة الحديثة. واتّخذ عبد المتعال الصعيديّ -كما هو حال عدد كبير من التقريبيّين- وجهة مغايرة أكّد، من خلالها، أنّ الدين عامل من

[34] الصعيدي، عبد المتعال، الوطنية والقومية في الإسلام، رسالة الإسلام، العدد 37، رجب/ كانون الثاني - يناير، 1377هـ/ 1958م، ص 87

[35] الصعيديّ، عبد المتعال، الرابطة الوطنية والرّابطة الإسلاميّة، رسالة الإسلام، العدد 24، صفر/ تشرين الأول- أكتوبر، 1373هـ/1954م، ص 385

[36] المصدر نفسه.

عوامل بناء الشخصيّة الثقافية، ولا يمكن الاقتصار عليه، فهو وجه من وجوه الوطنية، ونحتاج، اليوم، إلى أخوّة الوطن حاجتنا إلى أخوّة الدين، فلماذا نعامل أبناء أوطاننا معاملة دونية تقوم على النبذ، والتحقير، والتهميش، والتفسيق، والتبديع، والتكفير، والتقتيل، وهذا يعني «أنّ الإسلام ينظر إلى الرّابطة الوطنية كما ينظر إلى الرّابطة الإسلاميّة، فيرعى حقّ المواطن غير المسلم، كما يرعى حقّ المواطن المسلم، ويجعل بينهما أخوّة وطنية، كالأخوّة الوطنية بين المواطنين المسلمين»[37]. ويخفي هذا التأكيد على المواطنة، باعتبارها مدخلاً من مداخل التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، انتقاداً لاذعاً لما نجده في العالم العربي من تمييز طائفيّ ودينيّ ومذهبيّ؛ بل نجد بعض الجماعات المذهبية في العالم الإسلامي تُعامَل معاملة مواطني الدرجة الثانية، فيُحرمون من حقوقهم، باعتبار انتمائهم العقدي أو الفكريّ.

إنّ القبول بالمواطنة اعتراف صريح وضمنيّ بأنّ الفكر متعدّد، وأنّ الاختلاف سنّة من سنن الكون، لا بدّ من أن نقبل به دون شروط أو حدود.

1- القبول بالاختلاف دون شروط أو قيود:

أكّد عبد المتعال الصّعيديّ، في أكثر من موضع، أنّ التقريب بين المذاهب الإسلاميّة لا يتحقّق دون الاعتراف بالاختلاف منهجاً ومشروعاً، فاختلاف الأمّة رحمة، والآيات القرآنية الدّاعية إلى الاختلاف عديدة ومكتنزة الدلالات، ولا نبالغ إذا ذهبنا إلى القول إنّ الاختلاف أساس قيام العمران، وسبب ازدهار المسلمين وتفوّقهم، فالحضارة الإسلامية أسهمت في بنائها عدّة ثقافات وديانات، ولم تجد حرجاً في الأخذ عن اليهود، والمسيحيين، وغيرهم ممّن يضيق المقام بذكرهمز تحدّث القرآن عن الاختلاف، فأقرّه، وأكّد أنّه وسيلة وغاية في الآن ذاته، وُجد النّاس في هذا الكون لكي يختلفوا، فالاختلاف هو الأصل، ولكن الأصل استحال فرعاً، وأصبح الاختلاف نشازاً وخطراً لا بدّ من مقاومته.

سادت ثقافة الاتّباع والتقليد قروناً من الزّمن، أصبح المؤمنون بها مقلّدين لأقوال الرّجال، وفتاوى الفقهاء، دون تدبير أو تفكّر، وانغلق كلّ مذهب على نفسه، يجتهد في إطار أقوال علمائه، ويدّعي الصواب كلّ الصواب، وأصبح كلّ حزب بما لديهم فرحون[38]، وزعمت كلّ جماعة أنّها الفرقة الناجية دون بقية الفرق، فتعصّبت لآرائها، وجعلت منها تعاليم دينية مطلقة وثابتة لا تقبل التشكيك أو المراجعة. لذلك انتقد عبد المتعال الصعيديّ هذه الثقافة الحاضنة للصراع المذهبي، وتناول حديث الفرقة الناجية، فأكّد ضعفه وهوانه، فهو حديث

[37] الصعيديّ، عبد المتعال، الرابطة الوطنية والرّابطة الإسلاميّة، ص 382

[38] المؤمنون: 53 [... كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ].

مشبوه يضرُّ بوحدة المسلمين وتآلفهم، وشكّك في هذا الحديث من داخل الثقافة الإسلاميّة ذاتها، فالرّجل عالم أزهريّ، ويلمّ بعلم الحديث؛ ولذلك ذكر الحديث بأسانيده المختلفة، ثمّ ذكر كلّ من طعن فيها من علماء الأمّة[39]؛ إذ نقل بعضهم حديثاً مغايراً جاء فيه «تفترق أمّتي على بضع وسبعين فرقة، كلّها في الجنة إلا الزّنادقة». أبرز الصعيدي، من خلال هذا المثال، خطورة ما لحق بالثقافة الإسلاميّة من تشويهات وتحريفات، فالأصل أن تشمل رحمة الله كلّ الخلق، وأن تستوعب الجنّة كلّ من أصلح في الأرض، فحَفِظ الأنفسَ والأعراضَ، وسَلِمَ الناسُ من لسانه، وسيفه، ويده، وقدّس العلم والعمل، واحترم الجار والأهل وكلّ الناس. فكيف تحوّلت سعة الرّحمة إلى تضييق قاتل، وغلوّ أعمى يحرق الأخضر واليابس؟

يناقض القول بالفرقة الناجية سيادة الاختلاف، والتنوّع، والتعدّد، فهذه المقولة الهجينة تفتح الأبواب نحو التطرّف، والعنف المذهبي، وانتشار التباغض والتحاقُد، ولا نبالغ إذا ذهبنا إلى القول، إنّ ثقافة التكفير تأسّست على فكرة (الفرقة الناجية)، واحتكار الحقيقة دون بقية الخلق، ونتابع تداعيات هذه الثقافة على المستوى الواقع؛ إذ نجد أتباع هذا المذهب يكفّرون غيرهم من مقلّدي المذاهب الأخرى، وعادة ما ينخرط علماء المذاهب في هذا السجال التكفيريّ المخيف إرضاء للعامّة وخدمة للساسة، «وكان الواجب أن يقتصر ما بينهم على الإقناع بالدليل، من غير أن يطعن أحدهم في الآخر بكفر أو تضليل»[40].

كان الرّسول أسوة حسنة في مجال الاختلاف الدينيّ والفكريّ؛ لذلك تحدثّ الصعيدي عن سيرته العطرة، «وقد أخذ المسلمون بعد النبيّ - صلّى الله عليه وآله وسلّم - بهذه السّماحة في أمورهم السياسيّة، فاختلفوا فيها اختلافاً سمحاً كريماً حين كان الإسلام لا يزال غضّاً طريّاً، وحين كان المسلمون من السّابقين الأوّلين، لهم سماحتهم الدّينية، ولهم مرونتهم السياسيّة»[41]. تعلّم صحابة الرّسول أنّ الاختلاف رحمة، يوجّه المؤمنين نحو التفاني في العمل والإبداع والتميّز، فكلّ تنميط يقتل الحضارة، ويجعل من الفكر الديني فكر موت وبؤس؛ ولذلك لا مردّ عن قبول الاختلاف، والدفاع عنه، باعتباره مقوّماً من مقوّمات الثقافة الإسلاميّة الأصيلة، استحال الاختلاف خلافاً قاتلاً توارثته الأجيال، فتحمست له، وقاتلت من أجله، وهذا الخلاف لا بدّ من «أن يزول من نفوسنا، ليعذر كلّ منا الآخر في هذه الخلافات المذهبية، ولا يرى فيها عصياناً ولا إثماً، وإنّما هي خلافات بريئة دعا إليها فتح باب الاجتهاد في الإسلام، والمجتهد إن أخطأ فهو معذور، وإن أصاب فهو

[39] الصعيدي، عبد المتعال، التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ودراسة علم التوحيد، ج 1، رسالة الإسلام، العدد 9، ربيع الأوّل/ كانون الثاني - يناير، 1370هـ/1951م، ص 59

[40] الصعيدي، عبد المتعال، التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ودراسة علم التوحيد، ص 61

[41] الصعيدي، عبد المتعال، مدى الوحدة السياسيّة بين المسلمين، رسالة الإسلام، عدد 17، ربيع الأوّل/ كانون الثاني - يناير، 1372هـ/1953م، ص 78

مأجور»[42]. ويعني الاختلاف، اليوم، الانتقال من ثقافة التكفير إلى ثقافة التفكير والاجتهاد، فلا يمكن الحديث عن التقريب بين الجماعات الإسلامية في ظلّ ثقافة لا تؤمن بالتعدُّد، ولا تعترف بالآخر وأطروحاته.

2- تصحيح بعض المفاهيم:

كان عبد المتعال الصعيديّ يدرك أنّ تجديد الفكر الدّينيّ ليس أمراً هيّناً، فالانزياحات في تاريخ الثقافة الإسلاميّة كثيرة، والمغالطات أكثر، والمفاهيم الإسلامية الأصيلة تشوّهت وأصبحت تدّل على غير معناها؛ بل ربّما دلّت على معانٍ عكسيّة؛ إذ جعلت من سلم الإسلام عنفاً وإرهاباً، وحوّلت عقلانيّة الوحي وواقعيته إلى غلوّ، وتعصّب، وتوهّم، وتخييل، وانعكست انحرافات الثقافة الإسلاميّة على المفاهيم والتصوّرات؛ ولذلك لا يمكن مراجعة الفكر الإسلاميّ دون إعادة النظر في المصطلحات الإسلامية السائدة، وليس من الهيّن أن نقف عند مختلف المصطلحات التي راجعها الصعيديّ، فهي كثيرة، وتستحقّ بحثاً مستقلّاً، ولكنّنا سنقف عند نماذج من هذه المصطلحات ونضعها في سياقها التقريبي.

ونعتقد أنّ مفهوم (الدعوة) من أخطر المفاهيم الإسلامية، وأكثرها تأثيراً في طبيعة التواصل بين الجماعات الإسلاميّة، فهذا المصطلح شهد عدولاً في تاريخ الثقافة الإسلامية، كان يحيل على تحفيز غير المسلمين للالتحاق بدائرة الإسلام؛ لذلك انقسم الناس زمن الإسلام الأوّل إلى دارين: دار الإسلام، ودار الدعوة. كانت الدعوة تخصّ الدّين الحنيف، باعتباره مجموعة من القيم والمقاصد، وتتمّ بالحسنى، والكلمة الطيّبة، والفعل الحسن، ومن خلال هذا المسلك دخل الإسلام عدّة أمصار في آسيا، والهند، والصين، وإفريقية. كان المسلمون دعاة بأخلاقهم الإنسانية السمحة، وحبّهم الخير للجميع، وتحمّسهم للعلم، والعمل، والفضيلة، والعدل.

بعد سيادة ثقافة الاتباع والتقليد، وانغلاق الجماعات الإسلامية على ذاتها، وتعصّب كلّ جماعة لعلمائها وتقاليدها، تغيّر مفهوم الدعوة، فاستحالت الدعوة إلى الدّين دعوة إلى المذهب ورجاله، واختفى الرفق، واللين، والإحسان، وأصبحت الدعوة تنشط من خلال استعمال العنف اللفظيّ والماديّ، وإرغام الناس على فكر أو عقيدة. كانت الدعوة إلى الإسلام سبيلاً إلى السلم والطمأنينة، فأصبحت الدعوة، عند بعض المعاصرين، سبباً من أسباب الفتن، والحروب، والتباغض بين أبناء الملّة الواحدة، لقد أدرك الصعيدي خطورة هذا الفهم، فحاول تصحيح ما يمكن تصحيحه، وتحدّث عن كيفية التعامل مع الآخر، وآليات التواصل معه، فالدعوة لا تعني سبّ الآخرين، والتهكّم على معتقداتهم؛ إذ «لا يصحّ أن نصادم شعورهم بشتم ما زُيّن لهم، وإنّما يجب أن نقتصر على بيان الحقيقة في أمره، وأن نترفّق في تفهيمهم قبح ما زُيّن لهم، حتّى يعلموا حقيقة حاله، ويصلوا إلى

[42] الصعيديّ، عبد المتعال، الرابطة الوطنية والرّابطة الإسلاميّة، رسالة الإسلام، العدد 24، صفر/ تشرين الأول - أكتوبر، 1373هـ/1954م، ص 386

الصواب فيه من غير أن يخرج الجدال معهم عن الأدب اللائق به، وعن الحدود التي تجعله مناسباً لشرف الدعوة، ملائماً لنبل ما تدعو إليه»[43].

وهذا يعني أنّ الدعوة في أصلها حوار، والإسلام علّم أتباعه فنون الحوار، وآداب الجدل؛ فالدعوة لا تعني إقحام النّاس عنوة في الدّين أو المذهب؛ بل تعني حسن التعريف بالإسلام، «وإذا ثبت أنّ الإسلام لم يُنشر بالسّيف، فإنّه يثبت، تبعاً لهذا، أنّ السّيف لم يكن له أثر في نصر النّبيّ -صلّى الله عليه وآله وسلّم- بالرّعب؛ لأنّه كما لم يُبعث لينشر دينه بالسّيف؛ بل لينشره بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، لم يُبعث، أيضاً، ليثير رعباً بالسّيف بين النّاس، وإنّما بُعث لينشر بينهم سلاماً وأمناً، فيدخلوا في دعوته لا عن فزع ورعب، وإنّما يدخلون فيها عن طمأنينة وأمن»[44].

انحرف البعض عن سيرة الرسول الأعظم، فأدخلوا في قلوب النّاس الفزع والرّعب بتعلّة الدعوة إلى الله، وهداية النّاس، وهذا الانحراف مازال متواصلاً إلى أيّامنا هذه، فبدعوى الدعوة إلى الحقّ، تُهدّم المساجد، ويقتل المؤمنون بعضهم بعضاً، وتُخرّب المدن، وتُسفك الدماء. وممّا زاد الطّين بلّة أنّ دعاة القتل والخراب يجعلون من الدعوة «أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر»، فيماثلون بين المفهومين على اختلافهما؛ ولذلك عرض عبد المتعال الصعيديّ آية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[45]، ونظر في معانيها تدبّراً وتفكّراً، مستفيداً من أقوال المفسّرين، وخلص إلى نتيجة خطيرة مفادها: «الأمر بالمعروف قد يقبح إذا أدى إلى زيادة منكر، وغلبة الظنّ قائمة مقام العلم في هذا الباب، وفيه تأديب لمن يدعو إلى الدّين، لئلا يتشاغل بما لا فائدة له في المطلوب»[46]. اختلطت الأدوار، وتداخلت الوظائف، وأصبح العمل في المجال الديني مليئاً بالمغالطات والانحرافات.

لا يعني الأمر المعروف والنهي عن المنكر أن تقوم جماعة مقام الله، وتتكلّم باسمه، وتُحاسب الناس على ظاهرهم وباطنهم، كما لا يعني إرغام النّاس بالقوّة والقول على تطبيق سلوك، أو تجنّب آخر، فهذه انحرافات لا تتماشى مع روح الشرع، وما وظيفة المسلم إلا «الإرشاد والدعوة بالتي هي أحسن»[47].

---

[43] الصعيدي، عبد المتعال، أدب الجدال في القرآن، رسالة الإسلام، العدد 13، ربيع الثاني/ كانون الثاني - يناير 1371هـ/1952م، ص 50

[44] الصعيدي، عبد المتعال، تحقيق جديد في نصر النبي بالرعب، رسالة الإسلام، السنة 8، العدد 29/1، كانون الثاني - يناير 1956م، جمادي الآخرة 1375هـ، ص 84

[45] آل عمران: 110 [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ]

[46] الصعيدي، عبد المتعال، أدب الجدال في القرآن، ص 62

[47] المصدر نفسه، ص 63

لم يكن حديث الصعيديّ في الدعوة والدعاة إلا مراجعة لمفهوم خطير أثّر -وما زال يؤثّر- في بنية العقل الإسلامي، والممارسات الدينيّة المرتبطة به. ونفهم من مشروع مراجعة المفاهيم والمصطلحات رغبة الصعيديّ في التحرّر من ثقافة التقليد، وإحياء ثقافة الاجتهاد والتكفير.

3- التحرّر من ثقافة التقليد وإحياء ثقافة الاجتهاد والتفكير:

لم تكن دعوى غلق باب الاجتهاد غير تعطيل للعقل والتدبّر. ساد التقليد لقرون من الزّمن، فهُجر القرآن أو كاد، واكتفى النّاس باتّباع علماء المذاهب ورجال الدّين، وأصبح المقلّدون يعظّمون آراء الرجال، ويلتزمون بتعاليمهم، فتعصّبوا لأقوالهم، وتحمّسوا لوجهات نظرهم، وأدّى تعصّبهم إلى ظهور الغلوّ، والعنف، والتقاتل، بين أبناء الملّة الواحدة، وبغياب الاجتهاد، وسيادة التقليد، دخل المسلمون في متاهة مظلمة مليئة بالكره، والحقد، وحب الانتقام. كان الاجتهاد يقوم على الاختلاف والتعدّد، فساد الإقصاء والتطارح بهيمنة التقليد على الثقافة الإسلامية؛ ولذلك سيركّز عبد المتعال الصعيدي على ضرورة فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، والانتقال من ثقافة التكفير إلى إسلام التفكير، ويحتاج من هذا العمل إلى تمييز واضح ونهائيّ بين الدين وما حفّ به من نصوص دينية تفسّره وتشرحه، فهذه النصوص يمكن اعتبارها فكراً دينياً بشرياً مفسّراً للدّين، وهذا الفكر يتميّز بالظرفية والنسبية، وخضوعه لسياقات مخصوصة أنتجته، ووجّهته الوجهة التي سادت في الثقافة الإسلاميّة، وآية ذلك «أنّ كثيراً من النّصوص الدّينية ليست دلالتها قطعية، وكثيراً منها ورد بطريق الآحاد، وهذا يجعلها ظنيّة في متنها ودلالتها معاً، ولهذا اغتفر الشارع خطأ المجتهد فيه؛ بل جعل لمن اجتهد فيه فأخطأ أجراً على اجتهاده، ولم يميّز المصيب عليه إلا بأجر آخر على وصوله إلى الصّواب»[48]. وعلى هذا الأساس، لا معنى للتحاقد والتقاتل على أساس اختلاف القراءات الدينيّة، فلا بدّ من أن يقبل المسلمون باختلاف بعضهم عن بعض، دون أن يتحوّل طرف إلى ناطق رسميّ باسم الدّين يكفّر هذا، ويفسّق ذاك؛ «يجب عليهم أن يغفر بعضهم لبعض فيه، كما غفر فيه الشارع لهم؛ لأنّهم لا شأن لهم في الدّين أكثر من شأن الشارع، فهو صاحبه في الحقيقة، وهو الذي له حقّ الثواب والعقاب فيه، فيجب أن نترك أمر الحساب على الخلاف فيه إليه وحده، وأن يكون علاج أمره بيننا بالتي هي أحسن»[49].

إنّ اعتماد الاجتهاد آليّة من آليات بناء الثقافة الإسلاميّة يفتح باب المراجعة على مصراعيه، وكيف يمكن لنا أنّ نصلح حال الأمّة، ونجدّد فكرها الدينيّ، دون أن نراجع أموراً كنّا نعتقد، طيلة قرون خلت، أنّها أصول ثابتة، ومعارف مطلقة لا تشكيك فيها. نفهم، من خلال مدخل الاجتهاد، أنّ المعارف المتعلّقة بالدّين لا

[48] الصعيديّ، عبد المتعال، سعي قديم في توحيد المذاهب، رسالة الإسلام، العدد 25، جمادى الآخرة/ كانون الثاني - يناير، 1374هـ/1955م، ص 37

[49] المصدر نفسه، ص 38

تعكس، بالضرورة، حقيقة الدّين؛ بل هي وجهات نظر بشرية قابلة للصّواب والخطأ على حدٍّ سواء، ويعكس هذا الرّأي موقفاً من التراث، وإسهامات الأسلاف، فالمعارف الدينية الأصيلة توقّفت منذ غلق باب الاجتهاد، وما وصلنا من تراث دينيّ لا يعكس حقيقة الإسلام، واستشرافات المسلمين؛ لذلك لا بدّ من التمحيص، والتدقيق، والغربلة، ولا يستثنى من هذا المجهود أيّ علم من العلوم الدينيّة؛ ولذلك طالب الصعيديّ بتجديد آليات تفسير النصّ ومراجعة العقل الفقهيّ، وتدقيق المدوّنة الفقهيّة، وطالب، أيضاً، بتجديد علم الكلام، باعتبار أنّ علم الكلام القديم ملتبس بالسجال، والتطارح، والصراع المذهبيّ الضيّق.

نشأ علم الكلام من أجل الدفاع عن الإسلام وعقائده، ثمّ تحوّل إلى وسيلة دفاع عن المذهب، والنحلة، والفرقة، وأصبح علم الكلام آلية من آليات الإقصاء والتكفير، ولا نبالغ إذا ذهبنا إلى القول إنّ حروباً نشبت بين المسلمين بسبب آراء كلاميّة، وسجالات مذهبية، ولنا في محنة القول بخلق القرآن خير مثال على ذلك.

من هذا المنطلق، أدرك الصعيدّي أنّ مراجعة علم الكلام وتجديده قد يُيسّر التقريب بين المسلمين «ولكنّ هذه الغاية لا يمكن أن نصل إليها ما دامت دراسة علم التوحيد باقية على حالها القديم»[50]. وفي هذا الإطار، تتنزّل دعوة الصعيدي إلى تجديد علم الكلام، أو لنقل: اقتراح علم كلام جديد متحرّر من أمراض الماضي ومآسيه «لندرس فيه الفرق الإسلاميّة دراسة جديدة تقرّب بينها، وتجعل منها فرقاً متصافية متحابّة، لا يفرّق بينها الخلاف في الرّأي، ولا يجعل فرقة منها تنظر بعين العداء إلى الفرقة الأخرى؛ لأنّها ضالّة أو فاسقة في نظرها»[51]. فهل نحتاج، اليوم، إلى علم الكلام، ونحن نبحث عن التواصل والتوافق، والحال أنّه «علم التوحيد بين الخصام والعداء، ثم شبّ وشاخ بينهما، حتّى تأصّلت فيه جذورهما»[52]، وإلى أيّ مدى يمكن تجديد هذا العلم بما يتوافق مع حاجيّات المسلمين التواصلية المعاصرة؟

سبق لعبد المتعال الصعيديّ أن طرح هذه الأسئلة قبل نصف قرن من طرح مسألة (علم الكلام الجديد)، التي أُثيرت في بعض الأدبيات المعاصرة[53]، وأدرك، عندها، أنّ علم الكلام القديم يؤثّر في العقل الإسلاميّ على عدّة واجهات، ويزرع بذور الفتن، والخلاف، والصدام، بطريقة أو بأخرى؛ ولذلك لا بدّ من تجاوز هذا العلم، ومراجعته، واستبداله بعلم جديد يمدّ جسور التواصل والتعاون بين المسلمين، وكذلك بينهم وبين بقية الخلق

[50] الصعيدي، عبد المتعال، التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ودراسة علم التوحيد، ج 2، رسالة الإسلام، العدد10، جمادى الآخرة/ نيسان - أبريل، 1370هـ/1951م، ص 181

[51] المصدر نفسه، ص 182

[52] المصدر نفسه.

[53] تعمّقنا في هذه المسألة في مقالنا: علي بن مبارك، دور تجديد علم الكلام في التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة من خلال مجلّتيْ (رسالة الإسلام) و(رسالة التّقريب): تجديد الكلام في (الإمامة) نموذجاً، مجلّة الكلمة، بيروت، العدد 66، سنة 17، شتاء 2010، ص ص 119-140

مهما كانت معتقداتهم وثقافاتهم، ونجد أنفسنا، بطريقة أو بأخرى، أمام مسألة الآخر، وكيفية التعامل معه، ولكم اهتمّ عبد المتعال الصعيديّ بهذه المسألة فخصّها بالكتابة والتحليل.

4- التواصل مع الآخر وبناء السّلم الاجتماعي:

توصّل عبد المتعال الصّعيديّ إلى استنتاج خطير مفاده أنّ التواصل مع الذّات لا يكون إلا من خلال التواصل مع الآخر المغاير لنا في الدين والثقافة. انغلق المسلمون قروناً من الزّمن على أنفسهم، وجعلوا من أنفسهم طوائف، وفرقاً، ومذاهب، يجهل بعضها بعضاً، فيرسم له صوراً نمطيّة سلبيّة لا تعكس الواقع التاريخيّ؛ ولذلك كان الانفتاح على الآخر انفتاحاً على الذّات؛ لأنّ التحرّر من أسر الذّاكرة وهيمنتها يساعد الجماعات على إعادة تشكيل صور المخالفين من الدائرة العقدية ذاتها، أو من خارجها.

أسهم دستور المدينة، الذي اقترحه الرّسول، في تحقيق التواصل بين المسلمين واليهود، وجعل من تلك الوثيقة «وسيلة تعارف بينها، لا سبب تدابر وتناكر»[54]، فالتعارف الحقيقيّ ييسّر التواصل بين الجماعات الدينية، فالتعارف تعرُّف وتعريف، تعرُّف على الآخر، كما هو في حقيقته، والتعارف تعريف أيضاً؛ إذ يجب على كلّ طرف أن يحسن التعريف بذاته، وإذا تحقّق التعارف على هذا الشّكل، ساد التعايش، والتعاون، والتفاهم، وتراجع التباغض، والتحاقد، والتقاتل بين أبناء الملّة الواحدة، والأمّة الواحدة. وأكّد الصعيديّ أنّ الدعوة الإسلاميّة قامت على هذا المبدأ، فكان التعارف أصل الدعوة، فالرّسول «لم يُبعث، أيضاً، ليثير رعباً بالسّيف بين النّاس، وإنّما بُعث لينشر بينهم سلاماً وأمناً، فيدخلوا في دعوته لا عن فزع ورعب، وإنّما يدخلون فيها عن طمأنينة وأمن»[55]، ويتبيّن لنا، من خلال ما سبق، أهميّة التعارف الثقافيّ في محاربة التطرُّف والتشدُّد الدينيّ، وما ينتج عنهما من رعب، وترهيب، وتقتيل.

لا يمكن أن نجد تبريراً لقتل مخالف في الدّين أو المذهب مهما كانت الأسباب والمبرّرات، ومن الكبائر، التي لا تغتفر، قتل مسلم بتعلّة الضلال، وفساد العقيدة، وكم قتل المسلمون إخوانهم في الدين، وما زالت دماء المسلمين تُسفك بطرق بشعة مفزعة في مختلف أرجاء العالم الإسلاميّ، ومازالت المساجد تُهدّم، والمنابر تُحرَق، والأئمة يقتلون، حرصاً على حماية المذهب، والدفاع عن رجاله؛ ولذلك لا بدّ من تصحيح معنى (القتال) ومحفّزاته، «فالقتال في الإسلام لأجل الدفاع عن العقيدة الإسلاميّة، لا لأجل إدخال النّاس فيها، فلا نقاتل إلا من قاتلنا من المشركين وأهل الكتاب، وإذا قاتلونا لا نقاتلهم لأجل إدخالهم في ديننا، وإنّما نقاتلهم للدفاع عن النّفس

[54] الصعيدي، عبد المتعال، رأي في آية من آيات القتال، ص 18

[55] الصعيدي، عبد المتعال، تحقيق جديد في نصر النّبيّ بالرّعب، ص 73

وعن العقيدة»[56]. وبعد هذا التحليل، تساءل الصعيديّ: لماذا يقتل المسلمون غيرهم خارج إطار الدفاع عن النفس؟ وكيف يجيز بعض المسلمين قتل إخوانهم في الدّين؟ أليست رحمة الله شاسعة تشتمل على كلّ الخلق؟ ثمّ أليست الطرق إلى الله بعدد أنفس الخلائق؟ ثمّ ألم يجعل الله الاختلاف أصل الأصول، وقاعدة كلّ تواصل بشريّ؟

كان عبد المتعال الصعيدي، في مقالاته المنشورة في مجلّة (رسالة الإسلام)، منفتحاً على كلّ الثقافات، والأديان، والمذاهب، تواصل معها، وأظهر احتراماً لها، وقدّر أهلها ومعتنقيها، وركّز، في حديثه، على المسيحيين، فتحدّث عنهم باحترام كبير، وأظهر معرفة عميقة بالمسيحيّة وتاريخها العقديّ، وصحّح بعض الصور النمطيّة التي رسمتها الذاكرة، ونقلها المفسّرون والفقهاء دون تمحيص أو تدقيق، وانتقد المفسّرين في تحاملهم على المسيحيين عند تأويل بعض الآيات، فصرّح بكلّ جرأة: «لا يفوتني، بعد هذا، أن أنبّه إلى خطأ جمهورهم في تفسير آخر الآية أيضاً، وهو قوله تعالى: **[حتى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ]**[57]. فقد قال النّسفي في تفسيره تبعاً لهم: أي تؤخذ منهم على الصّغار والذلّ، وهو أن يأتي بها بنفسه ماشياً غير راكب، ويسلّمها، وهو قائم والمتسلّم جالس، وأن يتلتل تلتله، ويؤخذ بتلبيبه، ويُقال له: إذ الجزية يا ذميّ، وإن كان يؤدّيها، ويزخ في قفاه؛ أي يدفع فيه، فالإسلام أكرم من أن يرضى بمثل هذه المعاملة للذميّين»[58]؛ بل دعانا إلى «البرّ بهم، والإقساط إليهم»[59].

ويجدّد الصعيدي حديثه عن البرّ، فيذكّرنا بمقصد أساسيّ من مقاصد الدّين يشتمل على المسلمين، كما يشتمل على غيرهم من أهل بقية الديانات زمن السّلم، وزمن الحرب؛ إذ جاء الإسلام على أنقاض الجاهلية «فحرّم بهذا ما كان يحصل فيها من المثلة ونحوها من الأمور التي لا تليق بكرامة الإنسان، وكان هذا أساساً لكلّ ما حصل بعده فيها من التشريعات التي تحقّق فيها أمور البرّ بالإنسان بقدر الإمكان»[60].

يهدف مشروع الصعيديّ إلى إرساء ثقافة إسلامية جديدة تقوم على التعدُّد، والتنوّع، والاختلاف، والاعتراف بالآخر مهما كانت ديانته، أو خلفيته الفكريّة؛ ولذلك اعتمد منهجاً معرفياً يقوم على المقارنة، فكلّما سنحت له الفرصة قارن بين الإسلام والمسيحيّ مقارنةً بنّاءة تخدم التواصل وتدعّمه، فتحدّث عن الزهد في

---

[56] الصعيدي، عبد المتعال، رأي في آية من آيات القتال، ص 182

[57] التوبة: 29

[58] الصعيدي، عبد المتعال، رأي في آية من آيات القتال، ص 183

[59] المصدر نفسه.

[60] الصعيدي، عبد المتعال، برّ المخالفين في الإسلام، ج 1، رسالة الإسلام، العدد 21، جمادى الأولى/ كانون الثاني - يناير 1372هـ/1954م، ص 102

المسيحية والإسلام، فميّزة الإسلام أنّه «جاء بالزهد في الدنيا أيضاً، ولكنّه زهد معتدل لا يؤدّي إلى إهمالها في حسابه»[61]. واكتشف الصعيديّ من خلال هذه المقارنات، أنّ الحدود بين الديانتين هشّة، وأنّ التقارب بينهما متعدّد الوجود، ولكنّ التعصُّب وتوظيفاته السياسيّة يجعل من هذا التقارب تباعداً، «ولولا المطامع السياسيّة لسارتا جنباً إلى جنب من ظهور الإسلام إلى عصرنا الحاضر، ولسنا نقول هذا جزافاً، وإنّما نقوله وعندنا من ماضي الإسلام مع المسيحية في عهد النبوّة ما يؤيّده»[62].

ونفهم ممّا سبق أنّ العلاقات بين الجماعات الدينيّة والمذهبيّة شهدت، بدورها، عدولاً وانزياحات، فالأصل أن تكون الأديان متقاربة، من حيث تعاليمها، ومقاصدها، وأهدافها، وسلوك معتنقيها، كما يُفترض أن تكون فرق الديانة الواحدة متماثلة، من حيث التصوّرات والقيم المزمع ترسيخها، ولكنّ السياسة تُفسِد شؤون الدّين، وتوجّهه وجهة أخرى تجعل منه واعزاً للعنف والتعنيف. وهكذا، ندرك أنّ معرفة الذّات لا تنفصل، قطعاً، عن معرفة الآخر، فكلتاهما تؤدّي إلى الأخرى، تؤثّر فيها، وتتأثّر بها.

نخلص، في خاتمة هذه الدراسة، إلى القول إنّ عبد المتعال الصّعيديّ كان رجل التقريب بامتياز، حاول قصارى جهده أن يذلّل صعوبات التواصل الإسلامي - الإسلامي، وبحث في أصل الدّاء، فشخّص الأمراض تشخيص الطبيب الحكيم، وبحث في الجذور، والأسباب، والخلفيات، واقترح حلولاً من داخل الثقافة الإسلاميّة ذاتها، وما أشبه اليوم بالأمس؛ إذ مازال التعصّب الدينيّ على أشدّه، وظهرت بعد (ثورات الربيع العربيّ) عدّة حركات إسلاميّة متشدّدة، اعتمدت العنف، وأدخلت الرّعب في قلوب النّاس، زعم أصحابها أنهم الحقّ كلّ الحقّ، وغيرهم -وإن كانوا من المسلمين- الباطل كلّ الباطل، وعلى هذا الأساس، شاعت ثقافة التفسيق والتكفير، وقُطّعت الرقاب، وفُجّرت المساجد، وأصبح المسلم يتلذّذ بتقتيل أخيه المسلم، وأصبحنا، اليوم، في حاجة ملحّة إلى ثقافة الحوار والتقريب، ومشاريع فكريّة تسهم في توحيد صفوف المسلمين، ومدّ جسور التواصل بينهم بعد طول هجر وتهجير.

نحتاج، اليوم، إلى منارات تنير الدّرب أمامنا، وتزرع فينا بعض الأمل، ويُعدُّ عبد المتعال الصعيديّ أهمّ هذه المنارات في العصر الحديث، فمقالاته مليئة بالأمل والإيمان، وفكره متحرّر، استطاع من خلاله أن يهدم التمثّلات الدينيّة البالية، وأن يراجع الفكر الدينيّ السّائد، فمحّصه، ونقده، وكشف عمّا علق به من تشويهات وانزياحات، وتطلّب منه هذا العمل جرأة وشجاعة قلّما نجدها عند علماء الدين.

[61] الصعيديّ، عبد المتعال، الشرق والغرب قبل الإسلام وبعده، رسالة الإسلام، العدد 32، ربيع الأوّل/ تشرين الأول - أكتوبر، 1376هـ/ 1956م، ص 391

[62] الصعيدي، عبد المتعال، موقف المسيحيّة الشرقية والغربية من الإسلام في عهد النبوّة، رسالة الإسلام، العدد 28، صفر/ تشرين الأول - أكتوبر 1955م/ 1374هـ، ص 127

إنّ نظرنا في ما كتب الصعيدي لم يكن عملاً اعتباطياً؛ بل قصدناه حقّ القصد؛ إذ لا بدّ من أن نعرّف بالفكر الإسلاميّ المستنير وأعلامه، ونستأنس بإسهاماتهم في بناء ثقافة إسلاميّة بديلة تقوم على التنوّع، والتعدّد، والاختلاف، وتعتمد العقل والتفكير لا الغلوّ والتكفير. وأعتقد أنّ القارئ سينظر إلى الواقع الإسلاميّ، اليوم، من منظور مختلف، يدرِك، من خلاله، أنّ خطاب التشدّد والتكفير خطاب عرضيّ زائل لا مستقبل له، وإن أظهر أصحابه عتوّاً وطغياناً، فخطاب الاعتدال أقرب إلى نفوس المسلمين وعقولهم؛ ولذلك تشدّنا نصوص عبد المتعال الصعيديّ، وغيره من روّاد التحرّر والإصلاح، فمثل هذه النصوص تسائلنا، دوماً، وتستفزّنا، وتحرّضنا، على المجاهدة الفكرية والنضال من أجل واقع إسلاميّ أفضل تسوسه الحريّة، وينتصر فيه الإنسان.

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.
* ابن الأثير، عزّ الدين الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، (د. ت)، ج 1.
* ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدّمة، دار الجيل، بيروت، (د. ت).
* الزركليّ، خير الدّين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م، ج 4.
* الصعيدي، عبد المتعال:
- التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ودراسة علم التوحيد، ج 2، رسالة الإسلام، العدد10، جمادى الآخرة/ نيسان - أبريل، 1370هـ/1951م.
- علي بن أبي طالب والتقريب بين المذاهب، رسالة الإسلام، السنة 3، العدد4/ 12، ذو الحجّة/ تشرين الأول - أكتوبر، 1370هـ/1951م.
- أدب الجدال في القرآن، رسالة الإسلام، العدد13، ربيع الثاني/ كانون الثاني - يناير، 1371هـ/1952م.
- مدى الوحدة السياسية بين المسلمين، رسالة الإسلام، السنة 5، العدد1/ 17، كانون الثاني/ يناير 1953، ربيع الأول 1372 هـ.
- استقبال بعض علمائنا لطلائع الحضارة الأوروبية، رسالة الإسلام، العدد 19.
- برّ المخالفين في الإسلام، ج 1، رسالة الإسلام، العدد 21، جمادى الأولى/ كانون الثاني - يناير 1372هـ/1954م.
- الرابطة الوطنية والرّابطة الإسلاميّة، رسالة الإسلام، العدد 24، صفر/ تشرين الأول - أكتوبر.
- سعي قديم في توحيد المذاهب، رسالة الإسلام، العدد 25، جمادى الآخرة/ كانون الثاني - يناير 1374هـ /1955م.
- أصلح المواقف في الفتن، رسالة الإسلام، العدد 27، ذو القعدة/ تموز - يوليو، 1374هـ/1955م.
- موقف المسيحيّة الشرقية والغربية من الإسلام في عهد النبوّة، رسالة الإسلام، العدد 28، تشرين الأول - أكتوبر/ صفر، 1374هـ/1955م.
- تحقيق جديد في نصر النبي بالرعب، رسالة الإسلام، السنة 8، العدد 29/1، كانون الثاني/ يناير 1956، جمادى الآخرة 1375هـ.
- الشرق والغرب قبل الإسلام وبعده، رسالة الإسلام، العدد 32، ربيع الأوّل/ تشرين الأول - أكتوبر، 1376هـ/ 1956م.
- رأي في آية من آيات القتال، ج 1، رسالة الإسلام، العدد34، رمضان/ نيسان - أبريل، 1376هـ/ 1957م.
- الوطنية والقومية في الإسلام، رسالة الإسلام، العدد 37، رجب/ كانون الثاني - يناير، 1377هـ/ 1958م.

* ابن مبارك، علي، دور تجديد علم الكلام في التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة من خلال مجلّتيْ رسالة الإسلام، ورسالة التّقريب: تجديد الكلام في (الإمامة) نموذجاً، مجلة الكلمة، بيروت، العدد 66، سنة 17، شتاء 2010م.
* نصار، عصمت، حقيقة الأصولية الإسلامية فى فكر الشيخ عبد المتعال الصعيدى، دار الهداية، 2004م.

MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm
Mominoun

الرباط – المملكة المغربية
ص.ب : 10569
هاتف: 00212537779954
فاكس: 00212537778827
info@mominoun.com
www.mominoun.com